مصطلح الاستعارة بين النظرية والتطبيق في القرآن الكريم

إعداد الدكتور

هلال عطا الله عثمان

أستاذ مساعد فى كلية البنات

الإسلامية بالمنصورة

ورئيس قسم البلاغة والنقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

فهذا بحث متواضع عن الاستعارة وهى من المباحث الجديرة بالاهتمام والدرس ، وقد عنى بها النقاد والبلاغيون العرب القدامى فدرسوها ضمن مباحثهم ،ورغم أن بعضهم خلط بينها وبين التشبيه أحيانا ، إلا أننا لم نعدم وجود دراسة جادة لها تبحث أقسامها وأحكامها والفرق بينها وبين غيرها من الفنون البلاغية الأخرى مما ميزها وأعطاها قيمتها الأساسية .

ولقد اشتمل هذا البحث علي خمسة مباحث .

١ - المبحـــث الأول : تحديد الاستعارة .

٢ - المبحث الثانـــى : أصول الشبه الاستعارى مع التطبيق .

٣ - المبحث الثالـث : خفاء الشبه الاستعارى .

٤ - المبحث الرابـــع : أقسام الاستعارة وأنواعها مع التطبيق .

٥ - المبحث الخامس : قيمة التصوير الاستعارى .

والله أسأل أن يثنى على هذا الجهد المتواضع ، وأن ينفع به كل قارئ إنه سميع قريب وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

إعداد

الدكتـــور / هلال عطا الله عثمـــان

أستاذ مساعد فى كلية البنات الإسلامية بالمنصورة

ورئيس قسم البلاغة والنقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

تحديد الاستعارة

للبلاغيين عدة تعريفات متناثرة لتحديد مصطلح الاستعارة ، قد تختلف فى اللفظ والتعبير ، ولكنها قد تتحد فى المعنى والمدلول ، بيد أن بعضها قد خلط الأصل اللغوى بالمعنى الاصطلاحى ، والبعض الآخر قد فصل بينهما ، وتحدث عنهما وهناك من عنى بالصيغة الاصطلاحية فحسب .

وفيما يلى أقدم عرضا ملخصا لتعريفات القوم ونظرياتهم .

١ - قال الجاحظ (المتوفى سنة ٢٥٥ هـ) إن « الإستعارة تسمية الشئ باسم غيره إذا قام مقامه » [١] وواضح من تعريفه عنايته بالجانب اللغوى ، وإن انطبق على جزء من المعنى الاصطلاحى .

٢ - ذهب ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) إلى أن : العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها أو مشاكلا [٢] وتعريفه أكثر انطباقا على الاصطلاح من تعريف سابقه الجاحظ ، وإن شمل المجاز فى وجوهه وعلاقاته .

٣ - يرى ثعلب (المتوفى سنة ٢٩١هـ) فى استعمال الاستعارة أن يستعار للشئ اسم غيره أو معنى سواه . [٣] وهو تعريف موجزجمع إلى جانب الأصل اللغوى شيئا من المعنى الاصطلاحى .

٤ - ويذهب ابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦ هـ) إلى أن : «استعارة

---

(١) الجاحظ ، البيان التبيين ١ / ١٥٣.
(٢) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٠٢
(٣) ثعلب ، قواعد الشعر ٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكلمة لشىء لم يعرف بها من شىء قد عرف[١] وهذا معنى عام قد يشمل صنوف البيان كافة ، وأنواع المجاز اللغوى

٥ - وقد عرفها القاضى الجرجانى (المتوفى سنة ٣٦٦ هـ) بقوله «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه

مناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر[٢] وهذا التعريف أكثر تحديدا من سابقيه، وأدق شمولا لخصائص الاستعارة الفنية، وملامحها البيانية، وهو أول بادرة متناسبة مع المعنى الاصطلاحى للاستعارة.

٦ - ويقول الرمانى (المتوفى سنة ٣٨٦هـ) «الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له فى أصل اللغة على جهة النقل للإبانة[٣] وقد نقل تعريفه حرفيا ابن سنان الخفاجى (المتوفى سنة ٤٦٦ هـ [٤] ورد عليه العلوى يحيى بن حمزة (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) من عدة وجوه[٥] ومع ذلك فإن تعريف الرمانى للاستعارة يقارب المعنى الاصطلاحى فى عدة اعتبارات بيانية.

٧ - ويوضح الحاتمى (المتوفى سنة ٣٨٨هـ) تعريفها بقوله «حقيقة الاستعارة أنها نقل كلمة من شىء وقد جعلت له إلى شىء لم تجعل له» [٦]

---

(١) ابن المعتز البديع ٢.

(٢) القاضى الجرجانى ، الوساطة بين المتنبى وخصومه ٥١

(٣) الرمانى ، النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ٧٩

(٤) الخفاجى ، سر الفصاحة ١٣٤

(٥) العلوى ، الطراز ١ / ١٩٩.

(٦) الحاتمى ، الرسالة الموضحة ٢٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٨ - وكان أبو هلال العسكرى (المتوفى سنة ٣٩٥هـ) قد تعامل مع هذا المصطلح معاملة جديدة فى حدود كبيرة فقال إنها : «نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى فضل الابانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذى يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة فى الاستعارة المصيبة ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا [١].

٩ - والتعريفات السابقة وإن تشابهت فى ايضاح المصطلح حينا، وبجانبه اللغوى حينا آخر إلا أننى أميل إلى الكشف العلمى فيما أبانه أبو الهلال العسكرى وإن كان قدامه بن جعفر (المتوفى سنة ٣٣٧هـ) قد علل من ذى قبل ظاهرة الاستعارة عند العرب بزيادة الألفاظ

على المعانى عندهم ، فعبروا عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة ، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره[٢].

وهذا وإن انطبق على الاستعارة فإنه ينطبق على جميع ما توسع فيه العرب من البيان ، إلا أن ما أبانه أبو هلال كما أسلفنا بالنسبة للاستعارة ملخصا فى النقل للمعنى من لفظ إلى لفظ واستحداث معنى جديد فى اللفظ وجعل الكلمة ذات دلالة لم تجعل لها فى أصل اللغة ، وزيادة الفائدة فى الاستعمال الاستعارى بدلا الاستعمال الحقيقى ، سيبقى ما حققه كشفا جديدا

---

(١) العسكرى ، كتاب الصناعتين ٢٧٤

(٢) قدامة بن جعفر ، نقد النثر ٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتناسب مع ما أكده فيما ضرب من نموذج قرآنى رفيع شاهدا على ذلك بقوله : «والشاهد على أن للاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة أن قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عِنْ سَاق)[١] أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال : «يوم يكشف عن شدة الأمر» وإن كان المعنيان واحداً، ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج إلى الجد فى أمر : شمر عن ساقك فيه ، واشدد حيازيمك له ، فيكون هذا القول أوكد فى نفسه من قولك : جد فى أمرك»

وما ذهب إليه أبو هلال العسكرى متساوق لما وجدنا عليه أرسطو من ذى قبل حينما عد الاستعارة من أعظم الأساليب الفنية ، وأنها آية الموهبة التى لا يمكن تعلمها من الآخري [٢].

١٠ - ويرى عبد القاهر الجرجانى (المتوفى سنة ٤٧١هـ) فى الاستعارة : أنك نثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ، ولكنه يعرف من معنى اللفظ[٣] وقد جاء هذا التعقيب له بعد تعريفها من قبله بقوله «الاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء وتظهره وتجىء الى اسم المشبه به فتغيره المشبه وتجريه عليه[٤] ويتضح من تعريف عبد القاهر وتعقيبه ، أن هناك لفظا ومعنى، وهناك معنى اللفظ والاستعارة تختص بالألفاظ، ولكنه قد أشرك المضمون بالإضافة الى الشكل فى جلاء الصورة الاستعارية، أو المعنى فى إدراك مؤدى

---

(١) سورة القلم ، أية رقم ٤٣

(٢) شكرى عياد ، أرسطوطاليس ، فن الشعر ١٧٦.

(٣) الجرجانى ، دلائل الإعجاز ٣١ .

(٤) المصدر نفسه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللفظ بقوله (معنى اللفظ) وهذه هى العلاقة التى كشفها عبد القاهر بين اللفظ والمعنى فى نظرية النظم، وأكدها فى مجالات شتى من معالجاته البلاغية.

١١ - وقد تعقب عبد القاهر كل من فخر الدين الرازى (المتوفى سنة ٦٠٦هـ) فنقل تعريفه لها حرفيا[١] والسكاكى حينما قال : وهى أن تذكر أحد طرفى التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعيا دخول المشبه فى جنس المشبه به ، دالا على ذلك باثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»[٢].

وجاء ابن الأثير (المتوفى سنة ٦٣٧هـ) مقتفيا خطوات الجرجانى وما استفاده منه الرازى والسكاكى فقال : «حد الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة وكان حدا لها دون التشبيه[٣] وتتبع هذه المعانى والألفاظ والاشارات نفسها فيما بعد كل من ابن أبى الأصبع[٤] وبدر الدين بن مالك [٥].

والخطيب القزوينى[٦] وأعطوا الدلالات ذاتها.

وقد اتضح مما تقدم أن أبا هلال العسكرى كان له فضل السبق فى دقة التعريف والتمثيل له ، وإن عبد القاهر قد أعطاه الصيغة العلمية والصفة

---

(١) الرازى ، نهاية الاعجاز ٨٢.

(٢) السكاكى ، مفتاح العلوم ١٧٤.

(٣)ابن الأثير ، المثل السائر ١ / ٣٦٥.

(٤) ابن أبى الأصبع المصرى بديع القرآن ١٩.

(٥) ابن مالك المصباح ٦١.

(٦) الخطيب القزوينى الإيضاح ٢٧٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاصطلاحية ، وتابعه عليه كل من الرازى والسكاكى وابن أبى الأصبع وابن مالك والقزوينى.

وتأسيساً على ما سبق يُعدّ أبو هلال العسكرى وعبد القاهر الجرجانى من أوائل من أرسوا دعائم هذا المصطلح فنياً:....

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى

اصول الشبه الاستعارى مع التطبيق

أجمع البلاغيون أن للاستعارة ثلاثة أركان هي :

١ - المستعار منه ، وهو المشه به .

٢ - المستعار له ، وهو المشبه .

٣ - المستعار ، وهو اللفظ المنقول .

أما الأول والثانى فهما طرفا الاستعارة ، ولابد أن يحذف أحدهما إلى جانب وجه الشبه حتى تصح الاستعارة ، ولما كانت الاستعارة تشبيها حذفت أداته كان التأكيد للشبه الاستعارى ناجما عن كون التشبيه فى هذا الجزء من الاستعارة هو الصورة التى يتخذها الشكل ، أو الصيغة التى تمثل النموذج الأدبى ، لهذا فلابد لنا من الالتفات نحو هذة الصيغة والسير معها ، وقد أدرك عبد القاهر الجرجانى هذه الظاهرة إدراك الخبير المتخصص فقسم مآخذالشبه الاستعارى ومواطنه إلى أصول .

الأصل الأول : أن يؤخذ الشبه من الأشياء المشاهد والمدركة بالحواس على الجملة للمعانى المعقولة .

الأصل الثانى : أن يؤخذ الشبه من الأشياء المحسوسة لمثلها ،إلا أن الشبه مع ذلك عقلى .

الأصل الثالث : أن يؤخذ الشبه من المعقول للمعقول [١] والحق أن تقدير عبد القاهر لهذا التقسيم على جانب كبير من الأهمية ، إذا يصدر فيه عن نقاء

(١) عبد القاهر الجرجانى ، أسرار البلاغة ٤٠ - ٤٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلاغى سليم فى ترصد مصادر الشبه فى الاستعارة ، والتى لا تعدوا أن تكون وجها من هذة الوجوه : حسيا أخذ لمعنى حسى ، أو حسيا أخذ لمعنى عقلى ، أو عقليا أخذ لمعنى عقلى .

ونستدرك عليه العقلى الذى أخذ لمعنى حسى ، ولعل السبب فى إهماله - عنده - يرجع إلى أن حديثه منصب على ما يدرك بالنظرة العقلية فحسب ، بدليل حديثه عن الأصل الثانى وهو أخذ الشبه الحسى إلى مثله ، فإنه يعقب عليه بقوله « إلا أن الشبه مع ذلك عقلى »[١].

أو لأن الاستدلال على المعنى بأمر عقلى خارج عن الأصل ، لأن المحسوس أصل والمعقول فرع ، فكأن استدلال على الأصل بالفرع ، أو لأن مهمة الإستعارة تقريب البعيد لا تبعيد القريب والاستدلال على المحسوس بالمعقول من هذا الباب لأن المحسوس أقرب فهما من المعقول الذى يكد الفكر فيه ويكدح ، وبوصفه بديهيا لا يحتاج إلى إثبات ، وهو نادر الوقوع عادة فأهمل .

ولما كان الحديث عن الاستعارة فى تقويم الفن القولى لا يعدو هذة الوجوه، فقد رجحت أن تكون الأصول العامة فى عناصر الشبه الاستعارى التى أوردها عبد القاهر الجرجانى هى الضوء الكاشف عن البعد الفنى فى الاستعارة لأن فيها اتجاها إلى معرفة روح الاستعارة وجوهرها ، وما هى عليه من التخييل والتمثيل ، وهذا ما يهمنى رصده فى استعارات القرآن الكريم ، بوصفها عنصرا أصيلا من عناصر الصورة الفنية التى أرسى عليها قواعده .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى - أسرار البلاغة ٤١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد لمست فى الاستعمال الاستعارى للقرآن الكريم الميل إلى أخذ الشبه من الشئ المحسوس إلى المعقول فى الأغلب ، ومن ثم وجدت النماذج تميل إلى أخذ الشبه من المحسوس إلى المحسوس ، وأخيرا من المعقول إلى المعقول ، وهذه هى الأصول الثلاثة التى يستنبط فيها وجه التشبيه الاستعارى فى القرآن الكريم

ونماذج هذه الأصول كما يأتي :

الأصل الأول : وهو أخذ الشبه الاستعارى من الحسى إلى العقلى ، وهو أكثر أنواع الشبه فى القرآن الكريم ، ويمكن تجسيده فى النماذج الآتية : -

١ - قوله تعالى : (واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيناهُ آياتنا فانسلخ منها)[1] فقد استعار كلمة انسلخ وعبر بها تعبيرا دقيقا عن مدى التخلى التام عن آيات الله تعالى ، فهى تصور حالة النزع الشديد فى مفارقتها ، وتمثل انحسار هذا الضوء الهادى عن قلب هذا الرجل تدريجيا حتى عاد فارغا من الهداية شيئا فشيئا.

وهذة الاستعارة تمثل دورا مهما فى رسم المشهد التصويرى لحالة هذا الرجل فى تلاشى عناصر الخير عنده جملة ، وتجريده منها تجريدا كاملا يوحى بكيفية تجرد الشاه عن إهابهاونزعها لردائها أثناء السلخ فى بطء وتدرج وشدة حتى عادت سنخا فى الهيكل والصورة والتحول وكذلك أمر الرجل إذا استحال إلى حقيقة أخرى جوفاء مترهلة .

وبديهى أن الآيات فى إدراك المعرفة أمر عقلى ، وأن السلخ ، أمر مادى

---

١ - سورة الأعراف الآية رقم ١٥٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فاستعير هنا المحسوس للتعبير عن المعقول بصورة شاخصة تنبض بالتعبير الحى، فتثبت الحقيقة الواقعة للأمر من المجرد العقلى إلى الإدراك الحسى المتميز[١].

٢ - قوله تعالى : (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأوض أولئك هم الخاسرون) [٢] فقد استعير النقض ، وهو الحل وهو حسى إلى عدم الوفاء بالعهود وهو عقلى ، واستعير القطع وهو حسى ، إلى ترك البر وهو أمر عقلى ، والنهى عن قطع الرحم إنما هو نهى عن قطع صلتها بالبر فهو قطع مجازى ، لأن القطع الحقيقى فصل جرم عن جرم [٣] وكذلك النسبة إلى نقض الميثاق ، فالنقض الحقيقى ، إزالة التأليف والإلتئام ،ثم تشبه به ترك الوفاء بمقتضى العهود والعقود ، شبه العهد والعقد بشئ ألف محكما ثم أزيل تأليفه بنقضه مع أن بقاء تأليفه أصون من نقضه ، والعهود فى نفسها لا تنقض وإنما تنقض أحكامها [٤] وما يقال فى كلمتى « النقض ، والقطع » يقال فى «يوصل » فليس المراد بها وصل الشئ المادى بشئ مثله ، كوصل الحبل ، والقطعة بالقطعة ، والبناء بالبناء ، بل المراد هو المعنى الاستعارى من اللفظ وهو البر خلاف القطع فى معناه الاستعارى .

وكل هذه الألفاظ فى الآية الكريمة إنما استعيرت من المحسوس لإثبات أمر عقلى فى أشكاله كافة .

---

(١) الصورة الفنية في المثل القرآني ٢٠١ .

(٢) سورة البقرة رقم ٢٧ .

(٣) عز الدين بن عبد السلام ، الإشارة إلي الإيجاز ٦٩ .

(٤) المصدر السابق ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - قوله تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) [١]

فقد استعار الذوق وهو مما يحس فى الطعم إلى الخوف وهو مما يدرك فى النفس ، وإلى الجوع وهو مما يعرف بالعقل ، والجوع والخوف يدركان ، ولا يلبسان فعبر عن شدة الملابسة لهما باللباس .

ولعل الشريف الرضى (المتوفى ٤٠٦هـ) من أقدم من كشف حقيقة هذه الاستعارة وشرحها بالتفصيل فى قوله : وهذه استعارة لأن حقيقة الذوق إنما تكون فى المطاعم والمشارب ، لا فى الكساء والملابس ، وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم البلاء الشامل لهم ، وقد عرف فى لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة ، أو أخذ بجريره ذق غب فعلك ، واجن ثمرة جهلك ، وإن كانت عقوبته لبست ما يحس بالمطعم ، ويدرك الذوق فكأنه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسن أن يقول تعالى : فأذاقهم ذلك أى أوجدهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشئ المرير ، وخاصة الطعم الكريه ، وإنما قال سبحانه (لباس الجوع) .

ولم يقل طعم الجوع والخوف ، لأن المراد بذلك - والله أعلم - وصف تلك الحال بالشمول لهم ، والاشتمال عليهم ، كاشتمال الملابس على الجلود لأن ما يظهر منهم عن مضبض الجوع وألم الخوف ، من سوء الأحوال وشحوب الألوان وضؤولة الأجسام ، كاللباس الشامل لهم الظاهر عليهم [٢] .

وقد أجرى الشريف الرضى رحمه الله هذا الاستعمال الاستعارى على ما استخرجه بذائقته الفنية من طريقة العرب فى جريان ذلك على لسانهم فى مثل

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١١٢ .

(٢) الشريف الرضى تلخيص البيان ١٩٦ وما بعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الاستعارات المتمثلة بحديثه وأبان ذلك فى شمول حالة الجوع لهم كاشتمال الملابس على الجلود . وجاء من بعده الزمخشرى (المتوفى ٥٣٨هـ) فترجم قوله على شكل اعتراض يفترض فيجاب عنه ، وقد أورد صيغته عنده هكذا :

فإن قلت : الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما ؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ، فما وجه صحة إيقاعها عليه ؟ قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر.

وإذاقة العذاب : شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والشبع ، وأما اللباس فقد شه به لاشتماله على الملابس : ما غشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منها ويلابس ، فكأنه قيل : فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف [1] بل هو تعبير دقيق عن شدة مماسة الجوع والخوف للإنسان ، حتى كأنه قد تلبس فيه لبوسا ومسه مسا فعليا لاذعا ، أكثر مما يمس اللباس الجلد.

الأصل الثانى : وهو أخذ الشبه الاستعارى من المحسوس إلى المحسوس، ونماذجه فى القرآن الكريم أقل توافرا من سابقه والسبب فى ذلك أن الأمر الحسى واضح على العموم ، فلا ضرورة ملحة أن يمنحه القرآن الكريم ما منح الشبه الاستعارى من الذهنى إلى الحسى وبالإمكان تقريب هذا الجانب بما يأتى :

---

(١) الزمخشرى الكشاف ٦٣٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - قوله تعالى : (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزنيت) فالأخذ والتزين عمليتان ماديتان محسوستان ،والأرض لا تأخذ بالزخرف ، ولا هي بقابلة للتزين ،ولكنها الاستعارة التى تهب الحياة للجماد ، وتمنح التصرف للموات حتى عدت الأرض : أخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون واكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين [١] فكما تتزين الغادة وتتحلى الحسناء ، تتزين هذة الأرض وتأخذ زخرفها بالمعنى المشار إليه وكلا الموضعين حسيان .

٢ - قوله تعالى : (يكاد البرق يخطف أبصارهم)[٢] أخذ فيه الشبه من حسى إلى حسى .

قال الرضى : وهذه استعارة ، والمراد يكاد يذهب بأبصارهم من إيماضه وشدة التماعة [٣] فاستعار الخطف ، وهو الأخذ بسرعة متناهية للتعبير مقاربة ذهاب البصر بشدة الإيماض وهما حسيان .

٣ - عد الشريف من الاستعارة قوله تعالى : (اشتدت به الريح)[٤] فالريح ليس بها قوة الاشتداد والجرى ، وهما مما يوصف بهما الجسم المتحرك القادر بالإرادة ، ولكن استعير هذا اللفظ لحركتها وهبوطها ، تسخيرا ووجه الشبه الاستعارى فيه حسى وهو الاشتداد إلى حسى وهو الريح .

---

(١) النسفى مدارك التنزيل ١٢/٢ .

(٢) سورة البقرة الاية رقم ٢٠ .

(٣) الشريف الرضى تلخيص البيان .

(٤) سورة إبراهيم الاية رقم ١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأصل الثالث :

وهو أخذ الشبه الاستعارى من معقول إلى معقول ، وهو مقتضب فيما أحسب ، ومرد ذلك يعود إلى أن ممارسة القرآن الكريم الغنية ذات مهمة إيضاحية ، والإيضاح إنما يتم بتمثيل المجرد إلى الحاسة ، أما تمثيل العقلى بالعقلى فهو انتقال عن الأصل الموضوع له التصوير الاستعارى ومع هذا فاننا لا نفقد هذا النوع من الشبه الإستعارى فى القرآن الكريم ، ولعل من أبرز ذلك هو تلك الآيات الكثيرة التى تتحدث عن الإيمان والكفر مقترنة بالموت والحياة وكلاهما عقلى ، ومن ذلك قوله تعالى : (أو من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات)[1] إذا استعار للإيمان الحياة ، وللكفر الموت ، والإيمان أمر عقلى ، والحياة أمر عقلى والكفر جانب مثالى ، والموت معنى مثالى ، فهما استعارة عقلى لعقلى من هذا الوجه فقط ، والآية قد أوضحت هذين الأمرين العقليين ، بما استعارت لمعرفتها من أمر واقعى محسوس وهو النور للأول والظلمات للثانى ، وكأن تذييل هذه الاستعارة فى هذا الكشف والإيضاح هو استخرج عنصرين من عناصر الطبيعة وهما الظلمات والنور ، لإمكان تطبيقها على حالتى الحياة والموت فى الإيمان والكفر ، أو الهدى والضلال ، أو العلم والجهل ، وجميعها أمور معنوية عقلية .

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث
خفاء الشبه الاستعارى

وكما ظهر فى الأصول الثلاثة المتقدمة وجه الشبه الاستعارى ، فقد لا يظهر فى الاستعارة وقد يظهر وجه الشبه كما تقدم - إلا أن خفاءه أوقع عند البلاغيين .

وقد عبر عن هذه الظاهرة العلوى (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) فى حديثه عن التمثيل وقد نوافقه فى الفكرة ، ولكننا نناقشه فى النماذج التى أعتمدها أساسا لفكرته ، قال :

ثم إنه (يعنى التمثيل) قد يتفاوت فى الحسن لأنه يستعمل على وجهين: أحدهما : أن لا يظهر وجه التشبيه فى الاستعارة بل يكون تقدير التشبيه فيها عسرا صعبا ، فما هذا حاله يعد من أحسن أنواع الاستعارة ، وهذا كقوله تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)[1] فما هذا حاله استعارة لا يظهر فيها وجه التشبيه ، فلو أردت التكلف فى إظهار وجه المشابهة لخرج الكلام عن حد البلاغة ، وكلما ازدادت الاستعارة خفاء ازدادت حسنا ورونقا ، وهذا هو مجراها الواسع .

وثانيهما : أن يكون هناك مشبه ومشبه به من غير أداة التشبيه فما هذا حاله من الاستعارة دون الأولى فى الحسن والتمثيل فى القرآن كقوله تعالى :

(صم بكم عمى فهم لا يرجعون)[2] فالآية إنما جاءت مسوقة على أن

---

(١) سورة النحل الآية رقم ١١٢ .

(٢) سورة البقرة الآية رقم ١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حال هؤلاء الكفار قد بلغوا فى الجهل المفرط والعمى المستحكم فى الإصرار والجحود على ما هم عليه من الكفر والعناد بمنزله من هو أصم أبكم أعمى فلا يهتدى إلى الحق ، ولا يرعون عما هو عليه من الباطل [١] والحق أن ما ذكره العلوى وارد بالنسبة للشق الأول لا فى المثال ، وذلك أننى أوضحت فيما سبق من هذا المبحث أن وجه الشبه الاستعارى فى الإذاقة واللباس حسى إلى معنوى عقلى وهما الجوع والخوف ، إلا أن يريد بوجه التشبيه العلاقة القائمة بين المشبه والمشبه به لا نسبة هذا الشبه ، فيكون الأمر كما قرر . وأما ما أورده فى الطرف الثانى فمناقش فيه إذ قوله (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) من التشبيه البليغ على أسلم الوجوه ، لا من الاستعارة كما يتوهم ، إذا قد تختلط الاستعارة بالتشبيه البليغ لتوهم اشتمالها على ذكر الطرفين كما فى الآية ، فقد عد الألوسى (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ)فيها ضربا من التشبيه البليغ عند المحققين لذكر الطرفين حكما ، وذكرهما قصدا : حكما أو استعارة مانع من الاستعارة عندهم [٢] وهذا رد على من زعم أن فى الآية استعارة .

---

(١) العلوى الطراز ٣/ ٣٤٥ .

(٢) الألوسى روح المعاني ١/ ١٦٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع
أقسام الاستعارة وانواعها

لعل عبد القاهر الجرجانى من أوائل من قسم الاستعارة إلى قسمين : مفيدة وغير مفيدة

فالمفيدة : عنده ما كان لنقلها فائدة وهى عمدة هذا الفن ومداره .

وغير المفيدة : ما لا يكون لها فائدة فى النقل ، وموضعها حيث يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع فى أوضاع اللغة والتنوق فى مراعاة دقائق فى الفروق فى المعانى المدلول عليها[1] وأشار أيضا إلى أنها استعارة بالاسم تارة ، وبالفعل تارة أخرى ولمح إلى التصريحية والمكنية منها[2] وكان هذا التقسيم مدار البحث البلاغى عند المتأخرين، حتى إذا تلاقفوا هذه التقسيمات ، أضافوا إليها وشققوها إلى أقسام أخر ، تتجاوز العشرة من حيث وجوه الشبه وأدوات التشبيه وأطرافه ، مما ذهب برونق الاستعارة التصويرى ، وبهائها الفنى فعادت علما جافا لا ينبض بالحياه ، ولا كبير أمر فى ذكر جميع هذه الأقسام

والدخول فى تفصيلات تلك الأنواع ، والتعقيب على هذا وذلك ، ولكننى سأعالج فى حدود معينة أهم ما تواضعوا عليه ، وأبرز ما ذهبوا إليه ، ممثلا له بما فى كتاب الله تعالى من علائم وسمات .

---

(١) الجرجانى أسرار البلاغة ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ - *الاستعارة التصريحية* : وهى ما صرح فيها بلفظ المشبه به ، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه ، ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى :

(كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)[١] ففى هذه الآية استعارتان فى لفظى الظلمات والنور ، لأن المراد الحقيقى دون مجازهما اللغوى هو الضلال والنور ، لأن المراد إخراج الناس من الضلال إلى الهدى ، فاستعير للضلال لفظ الظلمات ، وللهدى لفظ النور لعلاقة المشابهة ما بين الضلال والظلمات ، فكما ترين الظلمات على الآفاق فتحجب الأضواء والإشعاع فكذلك يرين الضلال على لقلوب فيحجب الهداية والرشاد ولتشابه النور بالهدى فى مجال الإيمان فكما ينتشر النور فى الأفاق فيملؤها سناء وبهاء فكذلك ينتشر الهدى فى القلوب فيملؤها تقوى وإيمانا هذه العلاقة بين كلا الاستعمالين أدركت عقلا بقرينة حالية أملاها سياق النظم وترابط المعانى .

وهذا الاستعمال من المجاز اللغوى لأنه اشتمل على تشبيه حذف منه لفظ المشبه واستعبر بدله لفظ المشبه به وعلى هذا فكل مجاز من هذا النوع يسمى استعارة ، ولما كان المشبه به مصرحا بذكره سمى هذا المجاز اللغوى ، أو هذه الاستعارة «استعارة تصريحية» لأننا قد صرحنا بالمشبه به ، وكأنه عين المشبه مبالغا واتساعا فى الكلام.

٢ - *الاستعارة المكنية* : وهى ما حذف فيها المشبه به ، أو المستعار منه، حتى عاد مختفيا الا أنه مرموز له بذكر شىء من لوازمه دليلا عليه بعد حذفه، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى:

---

(١) سورة إبراهيم رقم ١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختها هدى ورحمة)[١] ففى هذه الآية ما يدل على حذف المشبه به وإثبات المشبه ، الا أنه رمز الى المشبه به بشىء من لوازمه ، فقد مثلت الآية الغضب بإنسان هائج يلح على صاحبه باتخاذ موقف المنتقم الجاد ، ثم هدأ فجأة وغير موقفه ، وقد عبر عن ذلك بما يلازم الإنسان عند غضبه ثم يهدأ ويستكين وهو السكوت ، فكانت كلمة «سكت» استعارة مكنية بهذا الملحظ حينما عادت رمزا للمشبه به.

وأظهر من ذلك فى الدلالة قوله تعالى (والصبح اذا تنفس)[٢] فالمستعار منه هو الإنسان والمستعار له هو الصبح ، ووجه الشبه هو حركة الإنسان وخروج النور ، فكلتاهما حركة دائبة مستمرة ، وقد ذكر المشبه وهو الصبح ، وحذف المشبه به وهو الإنسان ، فعادت الاستعارة مكنية.

وهاتان الاستعارتان أعنى التصريحية والمكنية نظر فيها الى طرفى التشبيه فى الاستعارة وهما المشبه والمشبه به ، فتارة يحذف المشبه فتسمى الاستعارة «تصريحية» وتارة يحذف المشبه به فتسمى الاستعارة «مكنية»

وكان عبد القاهر الجرجانى قد أشار - كما أسلفنا - الى هاتين الاستعارتين ضمنا ، فقال عن التصريحية هى أن تنقل الاسم عن مسماه الأصلى الى شىء آخر ثابت معلوم فتجريه عليه وتجعله متناولا له تناول الصفة للموصوف [٣]

وقال عن الاستعارة المكنية « أن يؤخذ الاسم من حقيقته ويوضع موضعا

---

(١) سورة الأعراف الاية رقم ٦٤ .

(٢) سورة التكوير الآية رقم ١٨ .

(٣) الجرجاني أسرار البلاغة ٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يبين فيه شئ يشار إليه فقال : هذا هو المراد بالاسم والذى استعير له وجعل خليفة لاسمه الأصلى ونائب منابه [١] وهذان النوعان أهم أقسام الاستعارة وعمدتها وهناك تقسيم لها باعتبار اللفظ إلى أصلية وتبعية .

٣ - الاستعارة الأصلية :

وهى ما كان اللفظ المستعار فى الأسماء غير المشتقة ، وهذا هو الأصل فى الاستعارة ، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور)[٢] فالاستعارة هنا فى كلمتى (الظلمات والنور) وكلاهما جامد غير مشتق لأن المراد بهما جنس الظلمات وجنس النور.

٤ - الاستعارة التبعية :

وهى الاستعارة التى تقع فى الفعل المشتق أو الاسم المشتق والصفة المشتقة ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف)[٣] فالمستعار هنا هو اللباس فقد شبه الجوع والخوف بشبح يرتدى لباس الفزع ، ولما كان متلبسا به من كل جانب ، وملتصقا بكيانة من كل جهة، عاد مما يتذوق ماديا وإن كان أمرا معنويا ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو اللباس للمشبه وهو الجوع والخوف من لفظ مشتق وهو « اللبس» وهناك تقسيم آخر باعتبار اللفظ المستعار مطلقا ، أما أن يكون محققاً، وأما أن يكون متخيلاً، فبرزت استعارتان هما التحقيقية والتخيلية .

---

(١) المصدر السابق ٤٣ .

(٢) سورة إبراهيم الآية رقم ٢ .

(٣) سورة النحل الآية رقم ١١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥ - *الاستعارة التحقيقية :*

وهى أن يكون اللفظ المستعار مطلقاً بحيث يكون المستعار له أمر محققا يدرك فى العقل أو الحس ، ومثاله قوله تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار)[١].

فان الاستعارة هنا مفهومة ، لأن المراد بالسلخ لغة هو كشط الجلد ، والمراد به هنا عقلا هو إزالة الضوء فالاستعارة محققة الوقوع عقلا وحسا لأن مفهوم لفظ السلخ بعد صرفه عن معناه الحقيقى لا يتجه الا إلى إيضاح أمر المستعار وتجلية حقيقته .

٦ - *الاستعارة التخيلية :*

وهى أن يستعار لفظ دال على حقيقة خيالية تقدر فى الوهم ، ثم تردف بذكر المستعار له إيضاحا لها أو تعريفا لحالها[٢] ومثال ذلك من القرآن الكريم كل الآيات التى يتوهم منها التشبيه ،أو يتخيل فيها التجسيم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

فقوله تعالى : (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)[٣] وقوله تعالى : (ويبقى وجه ربك)[٤] وقوله تعالى : (خلقت بيدى)[٥] كلها استعارات

---

(١) سورة يس الآية رقم ٣٧ .
(٢) أحمد مطلوب فنون البلاغة ١٣٧ .
(٣) سورة المائدة الآية رقم ٦٤ .
(٤)سورة الرحمن الآية رقم ٣٧ .
(٥) سورة (ص) الاية رقم ٧٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تخيلية ، إذا تخيل اليد والوجه بالنسبة إليه تعالى إنما يصح على جهة الاستعارة لا الاستعمال الحقيقى .

وهناك أقسام للاستعارة باعتبار الملائم تنقسم إلى مرشحة ومجردة ومطلقة . أعرضت عن الخوض فى تفصيلا تها طلبا لتقليل الأقسام واختصار الكلام .

كما أنها تنقسم من حيث الإفراد والتركيب إلى : مفردة ومركبة فالمفردة كما فى التصريحية والمكنية ، والمركبة كما فى الاستعارة التمثيلية التى تستعمل فى غير ما وضع تركيبها لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى [١].

---

(١) عبد العزيز عتيق «علم البيان» ١٩٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الخامس

قيمة التصوير الاستعارى

الاستعارة فن قولى ، قد يجمع بين المتخالفين ، ويوفق بين الأضداد ، وهى من أبرز صور البيان العربى ، وأروع مشاهدالتصوير الفنى ، جلى فيها القرآن بكثير من مواطنه ، وتناولها الحديث فى جملة من شذراته ، وتداولها الشعر العربى فى أوابده وشوارده ، وما عسى أن يعرض الباحث لقيمة التصوير بالاستعارة ، وخصائص استعمالاتها البلاغية ، بعد أن وشجها عبد القاهر الجرجانى بحلة وصف لا تبلى ، وقلدها بوسام شرف لا يفنى ، وتوجها بمزايا بيان لا تنبو ووهجها بلألئ كمال لا تجنو فقال : وهى أمد ميدانا ، وأشد افتنانا ، وأكثر جريانا ،وأعجب حسنا وإحسانا ، وأوسع سعة وأبعد غورا ، وأذهب نجدا فى الصناعة وغورا ، من أن تجمع شعبها وشعوبها ، وتحصر فنونها وضروبها ، نعم وأسحر سحرا ، وأملأ بكل ما يملأ صدرا ويمتع عقلا ويؤنس نفسا ، ويوقر أنسا ، وأهدى إلى أن تهدى إليك عذارى قد تخير لها الجمال وعنى بها الكمال، وأن تخرج لك من بحرها جواهر إن باهتها الجواهر عدت فى الشرف والفضيلة باعا لا يقصر ، وأبدت من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر وردت تلك بصفرة الخجل ، ووكلتها إلى نسبتها من الحجر وأن تثير من معدنها تبرا لم تر مثله ، ثم تصوغ فيها صيغات تعطل الحلى ، وتريك الحلى الحقيقى ، وأن تأتيك علي الجملة بعقائل يأنس إليها الدين والدنيا وشرائف لها من الشرف الرتبة العليا ، وهى أجل من أن تأتى الصفة على حقيقة حالها ، وتستوفى جملة جمالها

ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبدا فى صورة مستجدة تزيد قدره نبلا وتوجب له عد الفضل فضلا ، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد ، حتى تراها مكررة فى مواضع ، ولها فى كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد ، وشرف منفرد ، وفضيلة مرموقة، وخلابة مرموقة ومن خصائصها التى تذكر بها ، وهى عنوان مناقبها ، أنها تعطيك الكثير من المعانى باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرد ، وتجنى من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .

وإذا تأملت أقسام الصنعة التى بها يكون الكلام فى حد البلاغة ومعها يستحق وصف البراعة، وحدتها تفتقر إلى أن تعيرها حلاها ، وتقصر عن أن تنازعها مداها ، وصادفتها نجوماً هى بدرها ، وروضا هى زهرها ، وعرائس مالم تعرها حليها فهى عواطل، وكواعب ما لم يحسنها لها فى الحسن حظ كامل، فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس بينة، والمعانى الخفية بادية جلية .

وإذا نظرت فى أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعز منها ، ولا رونق لها ما لم تزنها وتجد التشبيهات على الجملة غير معجبة ما لم تكنها ، إن شئت أرتك المعانى اللطيفة التى هى من خبايا العقل كأنك قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون، وهذه إشارات وتلويحات فى بدائعها وإنما يتجلى الغرض منها ويبين، إذا تكلم على التفاصيل وأفرد كل فن بالتمثيل ..... إلخ" (١).

---

(١) عبد القاهر الجرجانى " أسرار البلاغة " ٤٠ - ٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد هذا الوصف المستفيض لخصائص الاستعارة وسماتها، وفلسفتها وأغراضها وموقعها وكيانها، يتعرض عبد القاهر إلى التفصيل، وتقسيمها وينظر لها بما يعد تجلية لخصائص الاستعارة فنياً، وتحقيقاً فى قيمتها بلاغياً.

إننا نستطيع أن نلمس فى الاستعارة عدة خصائص فنية يمكن إجمالها بالشكل الآتى : -

(أ) - إن الاستعارة تنتقل بالنص من الجمود اللفظى المحدد له إلى السيرورة فى التعبير والمرونة فى الاستعمال، ألا ترى إلى قوله تعالى : (واشتعل الرأس شيباً) [١] أنك تقف مبهوراً أمام بلاغة التعبير، ودقة المعنى وسيرورة الألفاظ، فالمستعار منه هو النار، والمستعار له هو الشيب، وقد جمعها معنى حسى بوجه حسى، وهو التوهج، وأنك لا تجد ذلك فى "وازداد الرأس شيباً، ولا فى شاب رأسى" ولا فى غيرها عند التقدير فكان اللفظ بصيغته الاستعاريه وضعت لهذا المعنى السيار.

(ب) - يتجلى فى الاستعارة صفة الفعل لم لا يفعل، وإضاءة الكائنات بالتصرف وإن لم تتمكن، ألا ترى إلى قوله تعالى : (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) [٢] وما فيه من إضفاء صفة من يعقل إلى ما لايعقل، وفرية من يعمل إلى من لايعمل، وفضيلة الفعل إلى من لم يفعل، ويكفى أن أحيلك إلى أبى هلال العسكرى ليكشف لك عن هذا المصدر البيانى من جانب

---

(١) سورة مريم الآية رقم ٤ .

(٢) سورة الملك الآية رقم ٧ ، ٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آخر بالإضافة إلى ما سبق بقوله : " حقيقة الشهيق ها هنا الصوت الفظيع، وهما لفظتان، والشهيق لفظة واحدة،فهو أوجز على ماقيه من زيادة البيان .

وتميز : حقيقيته تنشق من غير تباين،والاستعارة أبلغ، لأن التميز فى الشئ هو أن يكون كل نوع منه مبايناً لغيره ومائزا على حدته، وهو أبلغ من الانشقاق، لأن الانشقاق قد يحصل فى الشئ من غير تباين، والغيظ: حقيقته شدة الغليان، وإنما ذكر الغيظ، لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس، لأن الانتقام منا يقع على قدره، ففيه بيان عجيب، وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة ... [1] .

وفضلاً عما سبق إليه أبو هلال العسكرى نجد الاستعارة قد حققت فى الألفاظ الثلاثة : الشهيق والتميز والغيظ دلالة لا يمكن استيعابها فى الألفاظ الاعتيادية لو استبدلت فيها وفى هذا الاستعمال صور نار جهنم بصورة هائلة كلما تخيلتها ازدادت منها رعباً، وملئت منها فزعا، وكأنها مخلوق ذو قوة وبطش، ومجهول ذو منظر عبوس .

(ج) - يتمثل فى الاستعارة، تهويل الأمر، ودقة المبالغة وشدة الوقع، ويمثل هذا الملحظ قوله تعالى :

(ذرنى ومن خلقت وحيداً)[2] فالمراد زر بأسى، واترك عذابى وعقوبتى، إلا أن المبالغة فى التهديد، والشدة فى الوعيد اقتضت نسبة ذلك إليه - تعالى - ولو استعمل غير هذا اللفظ لما قام مقامه ولا أدى دلالته ، ولبقيت الصورة المراد غير ماثلة للعيان كما هو الحال الآن .

---

(١) العسكرى كتاب الصناعتين ٢٧٧ .

(٢) سورة المدثر الآية رقم ١١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(د) - تريك الاستعارة فى تعبيرها إشاعة الحياة فى الجماد، وإفاضة الحركة عند الكائنات وكأنها ناطقة تتكلم ومكلفة تتمثل، وقادرة تتصرف، كما فى قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهو دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين)[١] وفى هذا دلاله على التوسع في اللغه، والمبالغه في الإيجار، والتفنن في التصوير، فإشاعه الحركه في السماء والأرض تغني عن شرح اطاعتها وكيفيته بالتقدير أو التسخير، وإضافه هذه المقدره في الاستماع والاستجابه تكفي عن البيان المستفيض في الإبداع، وتصويرها بهيئه من يعي ويسمع وينطق تغني عن التمثيل والتشبيه.

(هـ) - يلاحظ فى الاستعارة التقريب الوصفى، ومراعاة المناسبة، ولمح الصلة بين الأصل والنقل الاستعارى، وذلك كقوله تعالى : (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) [٢] وهذا الوصف إنما هو على ما يتلوح للعين لا على حقيقة المعنى، لأن الليل والنهار اسمان يقعان على هذا الجو عند إظلامه لغروب الشمس وإضاءته لطلوعها، وليسا على الحقيقة شيئين أحدهما من الآخر، إلا أنهما فى رأى العين كأنهما ذلك، والسلخ يكون فى الشئ الملتحم بعضه ببعض فلما كانت هو ادى الصبح عند طلوعه كالمتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ، فكان أفصح من قوله لو قال : نخرج، لأن السلخ أدل على الالتحام المتوهم فيها من الإخراج [٣] وكل ما تقدم من خصائص يوحى بأن الاستعارة هى التى لونت هذه الصور، وكشفت أصالة ما يريد القرآن فى التعبير عنه بآياته

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ١١ .

(٢) سورة يس الآية رقم ٣٧ .

(٣) العسكرى كتاب الصناعتين ٢٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشتملة على الاستعارة لغرض خاص يمنحها قوة الأمثال من جهة فى السيرورة والانتشار، والدرجة البلاغية فى المتانة والجودة من جهة أخرى، بحيث يعود لفظ الاستعارة متميزاً لا يسد مسده لفظ آخر، ولا يشاكله تعبير مقارب، وتلك لمحات فنية مؤثرة وأسرار جمالية متناهية، وبذلك بلغت الاستعارة فى القرآن الكريم مرتبة الإعجاز وفاقت المستوى الحضارى للكلمات فى ذروة تطورها وعطائها عند العرب .

يقول الدكتور / أحمد بدوى متحدثاً عن تأثير الاستعارة القرآنية: " وإذا أنت مضيت إلى الألفاظ المستعارة رأيتها من هذا النوع الموحى لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين ، وتنقل الصوت للآذن، وتجعل الأمر المعنوى ملموساً محساً، فقد يجسم القرآن المعنى، ويهب للجماد العقل والحياة، وزيادة فى تصوير المعنى وتمثيله للنفس ، وذلك بعض ما يعبر عنه البلاغيون بالاستعارة المكنية، ومن أروع هذا التجسيم قوله تعالى : (ولما سكت عن موسى الغضب)[1] ألا تحس بالغضب كأنه إنسان يدفع موسى ويحثه على الانفعال والثورة، ثم سكت وكف عن دفع موسى وتحريضه[2] .

إن جميع الصور الاستعارية التى تشتمل عليها فقرات جملة من الآيات القرآنية لا يمكن أن تتجلى على حقيقتها إلا بالاستعارة بحيث يضيق اللفظ الحقيقى عن الإحاطة الشمولية بكنه المراد منها دون صوت الاستعارى، وليس

---

(١) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٤ .

(٢) أحمد بدوى " من بلاغة القرآن " ٢١٧ - ٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هنا مجال الكشف المركز عن هذه الخصائص، والتطويل فى الإشارة إليه، وإنما هو التنظير لمعرفة هذه الحقائق والأسرار .

وقد ثبت دون ريب - من خلال نماذج البحث - أن استعارات القرآن الكريم لألفاظة وكلماته، ركن من أركان البلاغة العربية المتطورة، تصقل الشكل وتضئ الهيكل العام ، ولا تستعمل فيه بوصفها استعارة فحسب ، بل لأنها أسلوب مشرق من أساليب الصور الفنية التى تجمع إلى جنب العمق فى نقل اللفظ وإضافة المعنى - الحس والحياة فى النص الأدبى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصـــادر والمراجـــع

١ - خير ما نبدأ به القرآن الكريم .

٢ - الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبين تحقيق/ حسن السندوبى - المطبعة الرحمانية القاهرة ١٩٣٢ م .

٣ - ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٣٧٦هـ) تأويل مشكل القرآن تحقيق الدكتور / السيد أحمد صقر - مطبعة عيسى الحلبى القاهرة ١٣٧٣ هـ .

٤ - تعلب أبو العباسى أحمد بن يحى بن زيد الشيبانى (ت ٢٩١هـ) قواعد الشعر تحقيق / محمد عبد المنعم خفاجى - مطبعة مصطفى البابى الحلى القاهرة ١٩٤٨ م .

٥ - ابن المعتز عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) البديع تحقيق/ المستشرق الروسى كراتشوفسك أبو الفضل إبراهيم - مطبوعات جب التذكارية لندن ١٩٣٥ م .

٦ - القاضى الجرجانى على بن عبد العزيز (ت٦٦هـ) الوساطة بين المتنبى وخصومة تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم - مطبعة عيسى البابى القاهرة ١٩٦٦ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧ - الرمانى أبو الحسن على بن عيسى الرمانى (ت٣٦٦هـ) النكت فى إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن تحقيق الدكتور/ محمد خلف الله والدكتور/ محمد زغلول سلام دار المعارف القاهرة ١٩٧٦ م .

٨ - الخفاجى أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجى (ت٤٦٦هـ) سر الفصاحة تحقيق/ عبد المتعال الصعيدى - مطبعة محمد على صبيح القاهرة ١٩٦٩ م.

٩ - العلوى يحى بن حمزة (ت٧٤٩هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز - مطبعة المقتطف القاهرة١٩١٤م.

١٠ - الخاتى أبو على محمد بن الحسن بن المفظر البغدادى (ت٣٨٨هـ) الرسالة الموضحة تحقيق الدكتور/ محمد يوسف نجم بيروت ١٩٦٥ م .

١١ - العسكرى أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥هـ) كتاب الصناعتين تحقيق على البنجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٧١ م .

١٢ - قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت٣٧٧هـ) نقد الشعر تحقيق/ اليروفسور بوبناكر - مطبعة بريل ليدن ١٩٥٦م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣ - الجرجانى عبد القاهر بن عبد الرحمن(ت٤٧١هـ) دلائل الإعجاز تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركزى الشنقيطى - مطبعة المنار القاهرة ١٣٢١ هـ .

١٤ - الرازى فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت٦٠٦هـ) نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز - مطبعة الآداب والمؤيد القاهرة ١٣١٧هـ .

١٥ - السكاكى أبو يعقوب يوسف بن أى بكر (ت٦٢٦هـ) مفتاح العلوم - المطبعة الأدبية القاهرة ١٣١٧ هـ .

١٦ - ابن الأثير أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت٦٣٧هـ) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر تحقيق/ محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة البابى القاهرة ١٩٣٩م .

١٧ - ابن أى الأصبع المصرى عبد العظيم بن عبد الواحد (ت٦٥٤هـ) بديع القرآن تحقيق/ الدكتور حفنى محمد شرف - مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٥٧ م .

١٨ - القزوينى أبو المعالى محمد بن عبد الرحمن الشافعى (ت٦٥٤هـ) الإيضاح فى علوم البلاغة - مطبعة صبيح القاهرة ١٩٧١م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner